البحث السادس عشر

ملامح الأدب الإسلامي
في كتابات الشيخ أبي الحسن الندوي
مع دراسة تطبيقية على أدب الرحلات

عبد القادر بن عيسى باطاهر (*)

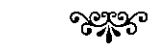

(*) أستاذ جامعي من الجزائر. عمل في كلية الآداب في الجامعة الأردنية وجامعة صنعاء، وجامعة قطر.

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد:

يُعدّ الأدب أحد الفنون المهمة التي تساهم في توجيه الثقافة لدى الشعوب، وبناء الإنسان الفعّال القادر على صناعة التاريخ وبناء الحضارات، ومن هنا ربط كثيرٌ من الدارسين والمفكرين بين الأدب وازدهاره وصحة الأمم وعافيتها، لاتصاله المباشر بالعقول والنفوس، ولكونه أحد عناصر التربية الضرورية في بناء أيّة حضارة [1].

وقد عرفت الحضارة الإسلامية منذ بزوغ إشعاعها الأول قيمة الأدب كعنصر موجه للأفراد والجماعات، فكان أن أعلت من قيمة الكلمة ورفعت من مستوى الأدب، وجعلتها في خدمة الفكر والتصور، وقد كان القرآن الكريم ببلاغته الرفيعة منبعاً للحكمة والمعرفة والأدب الرفيع يستمد منه الأدباء والبلغاء مادتهم، ويقيمون عليه تصوراتهم، وكان الحديث النبوي الشريف مصدراً للهداية والمعرفة، والأدب والثقافة لا يستغني عنه الأديب المسلم في تكوين الفكرة وتشكيلها، وبناء الرؤية وتحديدها.

وعن هذه الحضارة تشكّل تراث متميز، وأدب حي عبّر عن شخصية الأمة وثقافتها، ودافعا عبر العصور عن هويتها وعن خصوصيتها حين كانت تبرز في الآفاق الأخطار والتحديات المختلفة، وكانا سلاحاً قوياً في أيدي المخلصين من أبناء الأمة يردون به كيد الجاهلين، وتحريف المبطلين.

ولم يكن هذا الأدب الحي الذي شهده التاريخ الإسلامي وحده سائداً في الساحة، فقد كان هناك أدب يناقضه في المبدأ والرؤية، بعضه يرغبه أهل الضلال والبدعة، وبعضه يحبه أهل التكلف والصنعة، وبعضه مؤيد من أهل الرئاسة والسلطة، وبعضه ممزوج بأفكار أهل الأهواء والغفلة، وساهم كله في تردي الأمة وضعفها ودخولها في ليل التاريخ.

---

(١) انظر «شروط النهضة» - مالك بن نبي- ص١١٠ط/ دار الفكر دمشق، ١٩٨٧م.

وشهد العصر الحديث تحديات كثيرة، وأخطاراً متنوعة بسبب الاستعمار والتمزق والتخلف، وقد كانت الفرصة مواتية أمام كثير من بلدان العالم الإسلامي للنهضة، وبخاصة بعد حصولها على الاستقلال، ولكن بسبب المناهج المستوردة التي سيطرت على الحياة بمستوياتها المختلفة وغير ذلك من الأسباب الأخرى، لم نشهد أي إقلاع حضاري يحفظ احترامنا أمام الآخرين، حتى قامت الصحوة الإسلامية لتعلن رفضها للمناهج الغريبة عن الإسلام، وتتبنى مبدأ أسلمة الرؤى والمناهج والفكر والثقافة في جميع مستويات الحياة، لبناء المشروع الإسلامي الكبير وإعادة الأمة إلى استئناف الحياة الإسلامية.

وقد كان للأدب حيّز من الاهتمام في العمل الإسلامي، فبذلت جهود لإعادة الأدب إلى تبني الرؤية الإسلامية في التعبير عن الحياة والكون والإنسان، وظهر مفكرون أوفياء دعوا في أعمالهم الرائدة إلى الاهتمام بالأدب الإسلامي، أذكر منهم الإمام الشهيد حسن البنا والشهيد سيد قطب، والشيخ «أبو الحسن الندوي» والأستاذ محمد قطب، والدكتور نجيب الكيلاني.. وغيرهم.

ويعدّ الشيخ أبو الحسن الندوي -حفظه الله- أحد الرواد الأوائل في هذا العصر الذين اهتموا بالأدب الإسلامي كتابة وتنظيراً، وتوجيهاً ونقداً، وقد تُوجت جهوده في السنوات الأخيرة بإقامة رابطة عالمية للأدب الإسلامي، وسنسلط الضوء في هذا البحث على بعض جوانب التنظير والكتابة التي مارسها في هذا الشأن، والله الموفق إلى الصواب.

١- مفهوم الأدب:

ينطلق الشيخ أبو الحسن الندوي من رؤية واضحة في تحديد الأدب، إذ يرى أن الأدب الطبيعي الجميل هو التعبير البليغ الذي يحرك النفوس، ويثير الإعجاب، ويوسع آفاق الفكر، ويغري بالتقليد، ويبعث في النفس الثقة [١].

(١) نظرات في الأدب -أبو الحسن الندوي- ص٢٢، ط/ دار البشير، عمان، الأردن ١٩٩٠م.

فهذا المفهوم يشمل مجموعة من الخصائص والمقومات الشكلية والقيمية والجمالية التي إذا توافرت في الأدب منحته قوة الإقناع والإمتاع، وأعطته صفة البقاء والخلود، فالأدب من حيث المقومات الشكلية لا بد أن يكون بعيداً عن الصناعة والتكلف، يأخذ من الأشكال أجملها وأقربها إلى الطبيعة الإنسانية السوية، وهو أدب بليغ هدفه توصيل المعنى إلى القلوب في أحسن صورة من الألفاظ، وهو من حيث المقومات القيمية أدب ذو رسالة في المجتمع بما يحمل من قيم إيجابية تحرك النفوس، وتوسع المدارك، وتبعث في النفس الثقة والفاعلية، وهو من حيث المقومات الجمالية أدب جميل يوظف الجمال في إبراز الأبعاد القيمية، لأن القيم هي مقياس الجمال في الرؤية الإسلامية.

ويركز الشيخ أبو الحسن الندوي تركيزاً شديداً على الوظيفة الإقناعية والتأثيرية للأدب فيقول: «الأدب في أوسع معانيه هو تعبير عن الحياة وعن الشعور والوجدان في أسلوب مفهم مؤثر لا غير» (١).

ويرى الشيخ -حفظه الله- أن عنصري الإخلاص والصدق في الأدب هما اللذان يهبانه هذا البعد الوظيفي لأنهما يمنحانه الروح والقوة والحيوية ويجعلانه حقيقة أبدية خالدة (٢).

٢- وظيفة الأدب:

إن للأدب رسالة حقيقية في المجتمع الإسلامي، وبهذه الرسالة يكتسب مكانته وقيمته الحقيقية باعتباره راعياً لقيم الخير في المجتمع، وموجهاً للثقافة النافعة التي تساهم في البناء الحضاري، ومن هنا حرص الشيخ أبو الحسن الندوي على بيان هذا البعد الوظيفي للأدب فقال: «حاجتنا وحاجة هذا العهد، وحاجة العالم العربي بصفة خاصة، هي الأدب الهادف السليم،

(١) المرجع نفسه ص٣٥.
(٢) المرجع نفسه ص٣٦.

الدافق بالحيوية، المتدفق بالقوة الذي يحمل رسالة سامية سماوية، إنسانية إسلامية، عالمية» [١].

فالأدب الذي يحرص الشيخ على أسلمته لا بد أن يؤدي وظيفته الخطيرة في المجتمع، لأنه ملتزم بحمل قضايا الفكر والعقيدة والتصور السليم، وقيم الخير والعدل وفق ما جاء في الكتاب والسنّة لمزجها بقلوب الناس وعقولهم حتى يتكون الفرد المسلم ثم المجتمع المسلم.

وهذا الالتزام ليس قيداً على حرية الأديب، كما يعتقد دعاة التحرر في الفن والأدب، بل هو الذي يميّز الأدب، ويمنحه طابعه الخاص والالتزام -كقضية - حقيقية مقررة، وخطة مسلم بها في علم الفن والأدب [٢].

ويستدل الشيخ الندويّ على أهمية هذا البعد الوظيفي للأدب الإسلامي بما تركه أدباؤنا وكتّابنا القدماء من أدب حي خالد فقال: « كان هؤلاء الكتّاب المؤمنون الذين ملكتهم فكرة أو عقيدة، يكتبون لأنفسهم، يكتبون إجابة لنداء ضميرهم وعقيدتهم مندفعين منبعثين فتشتعل مواهبهم، ويفيض خاطرهم، ويتحرق قلبهم، فتنهال عليهم المعاني، وتطاوعهم الألفاظ، وتؤثر كتاباتهم في نفوس قرائها، لأنها خرجت من قلب فلا تستقر إلا في قلب»[٣].

٣- الأدب والتسلية:

الأدب الهادف والجاد مناف للتسلية الرخيصة، وبخاصة حين تصبح التسلية غاية أولى لقارئ الأدب، فتراه يبحث عن المتعة الزائلة لقتل وقت، وتسلية نفس، دون أن يعطي أي اعتبار للقيم الإيجابية في الأدب، وهذا يعطل الكثير من الطاقات، ويبعث السلبية والركون في المجتمع، وقد أشار

(١) المرجع نفسه ص١١٣.
(٢) انظر «الإسلامية والمذاهب الأدبية» -نجيب الكيلاني- ص ٤٦، ط/مؤسسة الرسالة ١٩٨٧م.
(٣) نظرات في الأدب -أبو الحسن الندوي- ص٣٢ط/ دار البشير، الأردن ١٩٩٠م.

الشيخ أبو الحسن الندوي إلى هذا المعنى فقال: «الأدب ليس أداة تسلية أو إزجاء وقت (أو قتل وقت كما يقول بعض الأدباء) فحسب، بل الأدب من أكبر الوسائل للوصول إلى الأهداف النبيلة وللتأثير في النفس الإنسانية»[١].

فالأدب الذي يطمح الشيخ الندوي في أن يكون إسلامياً ينبغي أن لا يكون هدفه الأول تسلية القارئ، لأنه أحد الوسائل المهمة في البناء النفسي والحضاري، وتغيير النفوس وإقدارها على ترك السلبية والكسل، وبخاصة حين يأخذ الأديب المسلم على عاتقه مبدأ توجيه الثقافة نحو العمل الجاد المثمر، وتفجير الطاقات الكامنة في النفوس السليمة.

ونفي التسلية الرخيصة عن الأدب لا يقتضي نفي جانب المتعة فيه؛ لأن الإمتاع غاية لا يمكن إلغاؤها من الأدب، وإلا فقد تميزه الفني كأدب، والقرآن الكريم نفسه أعطى لهذا الجانب حقه من الاهتمام حتى عد الإمتاع النفسي، والإقناع العقلي من الغايات الأساسية التي يهدف إليها الأسلوب القرآني [٢].

إن الأدب الإسلامي أدب جاد يجمع بين الإمتاع والإقناع، وتمتزج فيه المتعة بالمنفعة، وتنتفي عنه التسلية المؤذية، لأنه أدب نابع عن الرؤية الإسلامية التي تهدف إلى غرس الإيجابية في الحياة [٣].

٤- الأدب الحي والأدب المزخرف:

إنّ الأدب مرتبط بالنفس الإنسانية، لأنه تعبير صادر عن قواها الوجدانية والفكرية، فهو يحيا بحياتها، ويجمد بجمودها وتارة يكون كالكائن الحي بما فيه من قوة في العاطفة والعقيدة، وتارةً يصبح جامداً لا حياة فيه بعد تجرده من إشعاع الروح وعمق التجربة.

---

(١) المرجع نفسه - ص١٠٥.

(٢) انظر «النبأ العظيم» - محمد عبدالله دراز- ص١٠٢-١١١. ط/ دار القلم، الكويت.

(٣) انظر «آفاق الأدب الإسلامي» -نجيب الكيلاني- ص١٢٥، ط٢ مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٧م.

وقد اهتم الشيخ أبو الحسن الندوي، اهتماماً كبيراً بهذا البعد الحيوي في الأدب فقال: إنني أتصور الأدب كائناً حياً له قلب حنون، وله ضمير واع، وله نفس مرهفة الحس، وله عقيدة جازمة وله هدف معين، يتألم بما يسبب الألم، ويفرح بما يثير السرور، فإذا لم يكن الأدب كذلك فإنه أدب خشيب جامد، أدب ميت جامد، أدب ميت خامد، أشبه بالحركات البهلوانية والرياضات الجمبازية [١].

وهذا هو الأدب الحي الذي يستطيع أن يبعث في نفوسنا روحاً جديدة بما يحمل من إشعاع روحي، وقيم نافعة، أما الأدب الجامد - ويسميه الشيخ الأدب المزخرف - فهو أدب فاقد للمنهج السليم، بعد ما التصقت به شروط وصفات وتقاليد أفسدته، وطمست نوره، فلا بد فيه من السجع والصناعة، ولا بد فيه من البديع والمحسنات اللفظية، ولا بد من تقليد من يُعدُّ في الطبقة الأولى من الأدباء [٢].

ويرى الشيخ الندوي أن محنة الأدب العربي تكمن في تسلط أصحاب التصنع و التكلف على الأدب، أولئك الذين يتخذونه حرفة وصناعة، وغايتهم الأولى إثبات البراعة في التنميق والتحبير، وإحراز الشهرة والمنفعة الشخصية بعد التملق للأشخاص أو للهيئات، وأصبح أدبهم بعد فترة منتشراً بين الناس كأنه تماثيل وصور لا حياة فيها [٣].

ويستدل الشيخ على الأدب الحي بما وصلنا من كتابات علمية ودينية عن علمائنا القدماء وقد كتبها أناس لم يحترفوا الأدب، ولم يجعلوه صناعة، وقد كان لهذه الكتابات تأثير كبير على الناس على مر العصور، وما زال تأثيرها

(١) انظر نظرات في الأدب.
(٢) انظر نظرات في الأدب - أبو الحسن الندوي- ص٢١.
(٣) المرجع نفسه-٢١.

مستمراً إلى الآن، والفضل يكمن في قوتها وجمالها، وكونها كتبت عن عقيدة وعاطفة، هذا إلى جانب تحررها من السجع والبديع ومن التكلف والزخرفة.

ويؤكد الشيخ على أن الروح التي تبعث في الأدب الحياة والبقاء والخلود كامنة في صدق التعبير عن العقيدة والعاطفة [١]. فإذا كان الأديب متحلياً بالصدق والإخلاص في التعبير عن فكره وعاطفته، فإن أدبه سيؤدي غايته من التأثير والإقناع، لأن الكلام إذا خرج من القلب كان محله القلب، وهذا هو الأدب الحي الذي يستطيع أن يحرك النفوس، ويبعث فيها الثقة والرغبة في العمل الجاد المثمر.

وعن كيفية وصول الأديب الإسلامي إلى هذا المستوى الراقي من الأدب يقول الشيخ الندوي: «إن الإيمان وصفاء النفس، والاشتغال بالله والعزوف عن الشهوات يمنح صاحبه صفاء الحس، ولطافة نفس، وعذوبة روح، ونفوذاً إلى المعاني الدقيقة، واقتداراً على التعبير البليغ، فتأتي كتابته كأنها قطعة من نفس صاحبها، وصورة لروحه» [٢].

إن الأدب الإسلامي أدب حي، ونحن الآن في حاجة ماسة إلى هذا الأدب لتغيير نفوسنا، وإصلاح حالنا، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٣].

٥- الأدب وقضايا الحضارة:

إن الأدب يساهم مساهمة فعلية في بناء الحضارات أو هدمها فقد يكون مقوماً أساسياً في التربية والبناء والتوجيه، ويصبح قوة دافعة للشعوب نحو

(١) المرجع نفسه -ص٢٣ .
(٢) المرجع نفسه -ص٣٣ .
(٣) الرعد: ١١ .

التغيير وتجاوز المعوقات والسلبيات، وقد يكون الأدب على النقيض من ذلك حيث ينحرف عن مساره الإيجابي، ويصبح معولاً من معاول الهدم، يعرض القيم الهدامة، والأفكار القاتلة، وينخر في الجسم السليم فيصيبه بالشلل، والتاريخ يدعم بشواهده الكثيرة هذه الحقيقة.

والحضارة الإسلامية هي مثال يحتذى به في قيم الخير والعدالة والموازنة بين الحاجات الروحية والمادية، وقد أعطت للإنسانية المفهوم السليم للحضارة، والذي بُني على فكرة التوحيد، ومساواة البشر أمام الله، واحترام الإنسان المؤمن الفعال بعد تطبيقه للمنهج الإلهي السليم.

وقد كان الأدب الإسلامي وجهاً مشرقاً من وجوه الحضارة الإسلامية في أيام عزّها وقيادتها للعالم، وذلك بمساهمته الحقيقية في توجيه الثقافة وشحذ الهمم، وبعث روح العمل والفاعلية بين أبناء الأمة، وكان سلاحاً فعالاً في أيدي الدعاة والمخلصين، في بثّ الدعوة، وقمع المنكر والبدعة، وحين بدأ إشعاع الحضارة الإسلامية بالأفول رأيت الأدب يتجه اتجاهاً سلبياً غلبت عليه الصنعة والنفاق، والشهوة والشقاق، وبدأ يفقد شيئاً فشيئاً قيمته الروحية التي فيها حياة الأمة بكاملها.

فالأدب الإسلامي - أو الأدب الحي كما يسميه الشيخ الندوي- مرتبط ارتباطاً وثيقاً بازدهار الحضارة ونهضة الأمة، لأنه الروح التي تحيي الجسد وتبعث فيه الحركة والنشاط، وقد أشار إلى هذا المعنى الشاعر الإسلامي الكبير «محمد إقبال» حين قال: «لا خير في نشيد شاعر، ولا في صوت مغن إذا لم يفيضا على المجتمع الحياة والحماسة»[1].

(١) المرجع نفسه - ص١٠٦.

لقد أشار الشيخ الندوي في كتاباته إلى البعد الحضاري للأدب وأهميته في صناعة التاريخ، فكثيراً ما كان يكرر هذه الجملة: «إننا نحتاج إلى أدب ينفخ في نفوسنا حياة جديدة. وروحاً جديدة» [١] أي أننا في حاجة إلى أدب حي يحمل رسالة حضارية تغييرية، تهدف إلى تكوين الفرد المسلم ثم المجتمع المسلم، وتغيير القيم السلبية التي يعيشها العالم الإسلامي، وذلك بإثارة الرغبة في النفوس للعمل الجاد، وللفاعلية المتوقدة لصنع شيء له قيمة في الحياة، وبناء حضارة ترضي الله تعالى ورسوله ﷺ وتزكيها الأجيال القادمة.

وقد لفت الشيخ الندوي أنظار المعنيين بالأدب والكتابة ودراسة الأدب وتاريخ الأدب إلى ضرورة الاعتناء بهذا الجانب المهم في الأدب والذي يستطيع أن يغير الاتجاه من السقيم إلى السليم، ومن سيطرة الأهواء والغرائز إلى سيطرة الأخلاق والقيم النبيلة، ومن تبعية الكسل والكساد والخمول إلى الحرص على الحركة والنشاط والفاعلية.

دراسة تطبيقية على أدب الرحلات:

عُني الشيخ أبو الحسن الندوي عناية خاصة بأدب الرحلات، ومارسه كتابة وتنظيراً منذ الخمسينات محاولاً التجديد فيه، وقد وجه جلَّ اهتمامه إلى ربطه بالرؤية الإسلامية وإدخاله في دائرة الأدب الإسلامي، بعدما لاحظ أن كثيراً من هذا الأدب لا ينطلق من مبادئ واضحة في الفكر والتصور، ولا يعبّر بصورة جيدة عن عاطفة الأديب وعقيدته، ويمكن أن نُجمل آراءه النظرية في هذا الشأن في النقاط التالية [٢].

(١) المرجع نفسه - ص١١٠.
(٢) المرجع نفسه - ص٦٣-٦٧..

أولاً: يركز أبو الحسن الندوي على أهمية النظرة الشاملة للمجتمع الذي يكتب عنه الرحالة، فقد لاحظ أن كثيراً من كتب الرحلات يغلب عليه الجانب الجغرافي، وتعتني بالآثار والمشاهد أكثر من أي شيء آخر، ولا تتناول في الغالب إلا جانباً من جوانب الحياة يتلاءم مع ذوق الأديب، فإذا كان الرحالة أديباً مثلاً اقتصر على ذكر الأدباء المشهورين، وتصوير الحياة الأدبية في هذه البلاد، وهذا لا يعطي صورة متكاملة عن المجتمع والحياة والعلاقات وغيرها من الأمور المهمة في أدب الرحلة.

ثانياً: ينبه أيضاً إلى ضرورة التسجيل المباشر للأحداث والمشاهدات لتبقى المشاعر والانطباعات حية في الذاكرة، لأنه إذا مر عليها زمان ولم تسجل فستفقد حيويتها وصدقها، فهي أشبه بالظلال والأمواج، فلا تدوم ولا تبقى ولا يستطيع الأديب أن يستعرض ما شاهده، ولا يستطيع أن يستعيد ما شعر به، وما ترك الحادث فيه من أثر نفسي.

ثالثاً: ويؤكد الشيخ الندوي دائماً على أهمية ظهور ذات الأديب وشخصيته في أدب الرحلة فلا بد أن يعكس عاطفته وعقيدته على عمله، لأن هذا العمل إذا تجرد من العاطفة والعقيدة والمشاعر تحول إلى آلة تصوير «باردة» لا تؤثر في النفس، ولا تصلح للبقاء. وسنقف الآن عند كتابين للشيخ طبّق فيهما هذه الآراء، وهما كتاب «مذكرات سائح في الشرق العربي» ، وكتاب «أسبوعان في المغرب الأقصى».

أ- مذكرات سائح في الشرق العربي [1] :

خرج الشيخ الندويّ سنة ١٩٥١م في رحلة إلى عواصم الشرق العربي ليدرس وضع هذه البلدان الديني والعلمي والاجتماعي، وليستفيد من تجارب

(١) مذكرات سائح في الشرق العربي - ط/ ٣ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٣م.

علمائها ورجالاتها، وليعرّف ببلاده «شبه القارة الهندية» وتجربة الدعوة والإصلاح فيها، وقد حرص في هذه الرحلة كما ذكر[١] على تسجيل كلّ حديث، وكلّ انطباع في يومه غالباً، وأن يتحرى الدِّقَة في النقل، والصّحَة في الرواية، هذا إلى جانب حرصه على تصوير المجتمع بنظرة متكاملة، وإبراز شخصيته ومشاعره وأفكاره وما يجول في خاطره في كلّ حادث وموقف عاشه أثناء الرحلة وسنتحدث عن أهم الخصائص الفكرية والأسلوبية التي تميّز بها هذا الكتاب.

١ - الأفكار والمشاعر المعروضة في الكتاب.

إن قارئ هذه المذكرات يدرك أن كاتبها حريص على رسم صورة متكاملة الجوانب للمجتمع الذي عايشه في تلك الفترة من حياته. ويستطيع القارئ أن يأخذ فكرة واسعة عن الحياة الفكرية والثقافية والسياسية والاجتماعية، وأن يعرف التيارات الثقافية، والمستويات الحضارية لتلك المجتمعات المتنوعة، مما يعطي لهذا العمل قيمة تاريخية مهمة، إلى جانب القيمة الأدبية والفكرية التي أعطت للكتاب طابعه المتميز.

والدارس لهذه المذكرات يلاحظ اهتماماً كبيراً بالجوانب الفكرية والدعوية والأدبية، لعلاقتها المباشرة بشخصية الكاتب، فهو رجل يحمل رسالة فكرية حضارية، ويعيش الهم الإسلامي، ويحس ويشعر بآلام ومشكلات المسلمين في هذه البلدان التي زارها، فهو رجل فكرة ورجل دعوة، عبّر عن مشاعره وجسّد عقيدته بجلاء ووضوح في هذا العمل، وهو الأمر الذي طالما أكّده في نظراته النقدية للأدب.

ويمكن أن نجمل تلك القضايا المعروضة في المذكرات في فكرة واحدة وهي أن الشيخ متألم من الواقع الإسلامي بمستوياته المختلفة. فهناك أزمة

(١) المرجع نفسه - ص ٨ .

حضارية في البلاد العربية والسبب يعود إلى تفسخ الأخلاق، واستبداد الحكومات، وتحزب في السياسة، وانصراف بالكلية عن الدين، وعبادة المادة[١]، ولا سبيل إلى التحضر إلا بوجود الشعور الديني الصحيح القوي في الشعب، ولا يمكن هذا إلا عن طريق الدعوة العامة، والاتصال بالشعب وتربيته التربية الدينية، وإيجاد الوعي في طبقاته ثم في الجمع بين العلم الديني والمعارف العصرية[٢].ويؤكد الشيخ الندوي على أن الإسلام لا تقوم له قائمة إلا بالجمع بين العاطفة القوية، والعقل الصحيح [٣]. ويمثل هذا الاقتناع التام لجميع قوى النفس كي تحصل على الإرادة اللازمة للعمل والحركة.

ومما يلفت الانتباه في هذه المذكرات اهتمام الشيخ الندوي بأسلمة الأدب، وضرورة قيام جبهة قوية ضد الأدب المنحرف الذي أثّر تأثيراً سيئاً في الأمة، وساهم في فساد الطبائع والأخلاق، وشارك في التردي الحضاري.

٢- أسلوب الكاتب:

يتميز أسلوب الكاتب في هذه المذكرات بوضوح العبارة وسلامة الألفاظ، ودقة المعاني، فالكاتب كما يظهر يحب الاسترسال مع البعد عن التكلف مما أكسب كتابه أسلوباً يجمع بين الفائدة والمتعة, وجاء الكتاب كأنه قطعة من مؤلفه فالأسلوب هو الرجل كما قرر النقاد، ويكفيك هذا الكتاب لتعرف جوانب كثيرة من شخصية كاتبه، ومنهجه في الكتابة الأدبية.

ب - أسبوعان في المغرب الأقصى:

قام الشيخ أبو الحسن الندوي برحلة إلى المغرب الأقصى سنة ١٩٧٦م لحضور مؤتمر حول الجامعات الإسلامية، وكان أن قضى أياماً زار خلالها هذا

(١) المرجع نفسه - ص٣٠.
(٢) المرجع نفسه - ص٨٦.
(٣) المرجع نفسه - ص٤٨ .

البلد الجميل، واطلع على آثاره ومكتباته، وتعرف على شعبه وعلمائه، وكتب هذه المذكرات التي عبّر فيها عن مشاعره وانطباعاته بأسلوب جميل بليغ[١].

يغلب على هذه المذكرات الطابع التاريخي، غير أن كاتبها حرص أيضاً على تسجيل انطباعاته عند كل مشهد أو موقف يتعرض له، فجاء الكتاب مصوراً لجوانب من الحياة بمستوياتها المختلفة في هذا البلد الإسلامي ومعبراً عن شخصية الكاتب الذي ينطلق دائماً من فكره وعقيدته وعاطفته حين يتعامل مع الأشخاص أو الأفكار أو الأشياء.

إن كاتب هذه المذكرات رجل يحمل فكرةً إسلاميةً، يدعو إليها ويدافع عنها، فهو يرى أن أكبر ما يعانيه العالم الإسلامي من الفراغ والعوز، وأشد ما يقاسيه من أزمات هو الضعف الإيماني والفساد الخلقي والتزعزع العقائدي، يقول: ألق نظرة على العالم الإسلامي، وانظر ماذا يعوزه إنه غني بكل شيء، بعدد أفراده، وبوسائله وبثرواته، وبثقافته وبذكائه، ولكنه رغم ذلك كله لا يملك ثقلاً في الميزان العالمي، ولا دوراً مؤثراً في اتجاهات العالم وأوضاعه وحوادثه، والأزمة الإيمانية هي سبب هذا التراجع الحضاري [١].

ويدعو الشيخ إلى ضرورة التمسك بقيم الحضارة الإسلامية، وطابع الأمة الخاص، والاستفادة من الحضارة الغربية في مجالاتها الإيجابية وتجاربها المفيدة التي تتفق مع تعاليم الإسلام، حتى يعود للأمة عزها ومكانتها في العالم ويبقى أن نشير إلى أن هذه المذكرات كتبت بأسلوب جميل مؤثر، على الرغم من ترجمتها من الأردية إلى العربية.

(١) أسبوعان في المغرب الأقصى - ط/٢ مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٩٨٨م.
(١) المرجع نفسه- ص١١٣.

خاتمة

يعد الشيخ أبو الحسن الندوي -حفظه الله- أحد الرواد الأوائل للصحوة الإسلامية المباركة، حيث شارك في نهضتها بفكر عميق، ورأي سديد وعزيمة بلا فتور، وقد كان اهتمامه بالأدب الإسلامي كتابة وتنظيراً، ودراسة ونقداً يشكل مساهمة كبيرة في تزويد هذه الصحوة بالأدب الحي الذي يبعث الحماسة والحيوية والفاعلية في الأمة.

وقد دأب الشيخ على الدعوة إلى بناء وتشكيل أدب إسلامي متميز، يقف في وجه الأدب المنحرف الذي أصبح معادياً للقيم، ومجانباً للأخلاق ومثبطاً للهمم، وحدد الشيخ الأطُر العامة لهذا الأدب الذي لا بد أن ينطلق من الرؤية الإسلامية ، ويعبّر عن المشاعر والأفكار بصدق وإخلاص حتى يحقق غايته من التأثير والإقناع.

واهتم الشيخ بأدب الرحلات، ودعا إلى ضرورة التسجيل المباشر للأحداث والمشاهدات والانطباعات، وأهمية النظرة الشاملة للمجتمع الذي يكتب عنه الرحالة، وأهمية ظهور ذات الأديب بعاطفته وعقيدته في أدب الرحلة، وطبّق هذه النظرات تطبيقاً حسناً في كتابيه « مذكرات سائح في الشرق العربي» ، و «أسبوعان في المغرب الأقصى» وقدّم الشيخ في هذين الكتابين أنموذجاً متميزاً، وطريقاً واضحاً لمن يريد الكتابة في هذا النوع من الأدب.